## من تراب الطريق (٤٨٢)

## الحمامة والثعلب ومالك الحزين! (*)

### «لا تنه عن شيء وتأتي مثله»

صادفنى فى كتاب «كليلة ودمنة» الذى كتبه بيدبا الفيلسوف الحكيم الهندى لدبشليم الملك ، قصة عن الحمامة والثعلب ومالك الحزين ، ظاهرها للتسلية وتزجية الفراغ ، وباطنها حكمة لمن يعقل ويفهم ..

كان دبشليم الملك قد جلس إلى الفيلسوف الحكيم يقول له إنه قد سمع ما ذكره له من أمر القضاء والقدر وغلبتهما على الأشياء ، وطلب إليه أن يخبره عمن يطلب ضرّ غيره لما قد أصابه هو من الضر ، دون أن يتخذ مما نزل به واعظًا يزجره عن ارتكاب المظالم والعدوان على غيره . فطال بهما الحديث ، حتى طلب إليه الملك أن يضرب له مثلًا عمن يرى الرأى لغيره ولا يراه لنفسه .

قال الفيلسوف : إن مثل ذلك مثل الحمامة والثعلب ومالك الحزين .

فقال الملك : وما مثلهم ؟

قال الفيلسوف الحكيم : زعموا أن حمامة كانت تفرخ على قمة نخلة طويلة تكاد تبلغ عنان السماء ، وكانت تعانى تعبًا ومشقة من نقل ووضع مستلزمات عشها على رأس تلك النخلة ، لطولها وارتفاعها ، فإذا فرغت من النقل وتدبير أمر «العش» باضت ثم حضنت بيضها حتى يفقس . فإذا فقس وخرجت الأفراخ ، جاءها ثعلب لئيم ، وهذا طبعه ، كان قد تعاهد على ذلك منها ، ويقدر ويحسب الوقت اللازم لنهوض أفراخها ، فإذا حل الميعاد

(*) المال ١/٩/ ٢٠١٠ .

الذى قدره ، وقف بأسفل النخلة يصيح بالحمامة ويتوعدها أن يرقى ـ أى يصعد ـ إليها ، فيتملكها الخوف والرعب من تهديده ، فتلقى إليه بأفراخها لتتقى شره !

وبينما هى ذات يوم قد أدرك لها فرخان ، إذ أقبل مالك الحزين فوقع على النخلة ، فلما رأى الحمامة كئيبة حزينة شديدة الهم ، سألها : ما لى أراك كاسفة البال سيئة الحال ؟! فقالت له الحمامة : يا مالك الحزين ، إن ثعلبًا دُهيت به ، كلما كان لى فرخان ، جاءنى (الثعلب) يهددنى ويصيح فى أسفل النخلة ، فأفرق منه (أخاف وأرتعب ) فألقى إليه بفرخىْ .. قال لها مالك الحزين ناصحًا : إذا أتاك الثعلب ليفعل ما تقولين ، فقولى له : لن ألقى إليك فرخىْ ، فارْق أنت إلىّ ( أى اصعد أنت ) ، وخذهما بنفسك ، فإذا فعلت ذلك وأكلت فرخىْ ـ طرت عنك ونجوت بنفسى .

ألقى مالك الحزين بنصيحته الحكيمة ، وعَلَّم الحمامة بفطنته هذه الحيلة ، وانطلق راضيًا فَحَطَّ رحاله على شاطئ أحد الأنهار ، بينما كان الثعلب المكار قد اتخذ أهبته ـ كعادته ! ـ لالتهام أفراخ الحمامة ، وذهب إليها واثق الخطو إلى أسفل النخلة ، وجعل يناديها ويهددها كما كان يفعل فى كل مرة ، إلاّ أنه فوجئ بردٍّ جديد أدرك منه أن هناك من علمها هذه الحيلة ، فطفق يستدرجها بلؤمه أن تخبره بمن علمها هذا ؟ فقالت له : علمنى مالك الحزين .

انطلق الثعلب مغيظًا محنقًا يبحث عن مالك الحزين وقد اشتعل غضبه ، وظل فى بحثه حتى وجده واقفا على شاطئ النهر ، فبادره الثعلب قائلا : يا مالك الحزين ، ماذا أنت فاعل إذا أتتك الريح عن يمينك .. أين تجعل رأسك ؟ قال مالك : أجعله عن شمالى . قال الثعلب : فإذا أتتك عن شمالك .. أين

تجعل رأسك ؟ قال مالك : أجعله عن يمينى أو خلفى . فاستأنف الثعلب : فإذا أتتك من كل مكان ومن كل ناحية .. أين تجعل رأسك ؟ قال مالك أجعله من تحت جناحى . فقال له الثعلب مستدرجا إياه فى خبثٍ لئيم : وكيف تستطيع أن تجعله تحت جناحك ؟ ما أرى ذلك يتهيأ لك !

كان أن التقط مالك الطُّعم ، فصمم على ما أبداه للثعلب وقال إنه يستطيع ذلك ، فقال له ملك اللؤم والخباثة : إذن فأرنى كيف تصنع . فلعمرى يا معشر الطير قد فضلكن الله علينا . إنكن تدرين فى ساعة واحدة مثل ما ندريه فى سنة ، وتبلغن ما لا نبلغ ، وتستطعن إدخال رؤوسكن تحت أجنحتكن من البرد والريح .. فهنيئا لكن ، فأرنى كيف تصنع ذلك ؟

اشتعل حماس مالك الحزين بعد هذا الإطراء، فسارع بإدخال رأسه تحت جناحيه ، ولكن قبل أن يخرجه كان الثعلب اللئيم قد وثب عليه وثبةً واحدة ، وجثم عليه يكسر عظامه ويقول له وهو يلتهمه : يـا عدو نفسه ، ترى الرأى للحمامة وتعلمها الحيلة لنفسها ، وتعجز عن ذلك لنفسك حتى يتمكن منك عدوك !!

فكم من ناصحٍ لغيره ، يعجز عن نصح نفسه ، ولا يتعلم ما قاله الثعلب للأسد حين سأله : من علمك الحكمة . قـال : «رأس الذئب الطائر!! » .

*****